بالعشب والتراب ، يغني حزينا ، واعيا حزنه ، امام الذين رحلوا :

رحلوا ـ تركوني مسبيا ـ اجمع حبات القمح

وانتظر الاتي ـ اخباري تعرفها ـ ما زلت اقاوم ـ

طير الرخ يحاول سلب البيدر ـ زينب حلفت الا

تذبح فرختها ، الا في يوم لقاء احبتها ـ والفرحة تكبر ٠٠٠ (١)

والشاعر يرتكز الى تراثه الشعبي ، فينهض ، ويعترف ، ويكشف الاعماق :

يا صاحب الطير اسهر على طيرك

عجل عليه بالعلف ليوخذوا غيرك

الله يجازي الحصيدة اللي حصدناها

لا زرع اكلنا ولا ميه شربناها ٠٠٠ (٢)

وهو ايضا يحمل قلبه وفأسه معا ، متناقضا مع اهتزازه الرومانسي اليائس :

انني اغرق في اليأس الى قمة رأسي

حاملا قلبي وفأسي ٠٠٠ (٣)

وفي هذا التوتر قد يغرق الشاعر في حوار محبط ، فيستخدم مقاطع من التراث تعبر عن موقف يتداعى الى « بقايا » اقطاعية :

يا طيـــور طايـــره — يا وحوش سايـــره
سلمن ع امـــي وابوي — وقلن جبينه راعيه
ترعى غنم ترعى نوق — وتقيل تحت الدالية (٤)

ان هذا المقطع من « حدوثة الست جبينة » يخبىء عنصرية تفوق اللون الابيض فـــي شخصية « جبينة البيضاء » التي خدعتها ، الى حين ، جاريتها السوداء ، فبكت وضعها ٠ والشاعر هنا يعزز دور « الاميرة » ـ الاقطاع ـ ويستدعي « الارض » من خلالها ، وهـــو استدعاء خاطىء حتما ٠ الشاعر اساسا لا يقصد الى مضمون رجعي ، ولكن عـــدم التعمق في دراسة التراث الشعبي هو الذي قاده الى نتيجة خاطئة ٠

الارض هي كل القوى المسحوقة المضطهدة ، وهي مخزون ضخم يتجاوز في ذاكـــرة الشاعر ، وهو الذي يلتصق بها ، انتماءه الطبقي الى الفلاحين ،الى انتماء شامل لجماهير العمال والفلاحين ، ومعاناة مستمرة داخل وخارج ذاتيته المتوهجة :

يلونني اصفرار الارض

يا ويلاه

ما أقسى اصفرار الارض في الجسد (٥)

الارض هي الواقع وهي المخيلة : قمح ، شجر ، ماء ، تراب ، حجارة ، خصيـــب ،